عصر الخلافة (٣١٦-٤٢٢هـ / ٩٢٩-١٠٣١م)

تولى عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الإمارة ولُقب بالناصر لدين الله سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م وهو في الثالثة والعشرين من عمره وقد رشحه جده للإمارة قبل وفاته على الرغم من وجود أعمامه وأعمام أبيه الذين هم أحق منه بالإمارة شرعاً، وذلك لمؤهلاته وصفاته الحميدة. من أجل السيطرة وضبط البلاد أتبع عبد الرحمن الناصر (الثالث) سياسة تقوم على الترغيب والترهيب أو على الشدة واللين مع المتمردين والثوار، فاصدر منشوراً عاماً إلى الثوار، يطلب منهم فيه ضرورة العودة إلى الطاعة وقدم لهم الوعود لكل من يستجيب من مال وسلطان، ويهدد كل من لا يمتثل منهم بالحرب والتشريد ومصادرة الأموال، وأرسل الكتب بذلك إلى نواحي البلاد، فاستجاب بعضهم، واستبشر الناس بهذا الأمير خيراً، ثم أعد جيشاً كبيراً لمحاربة بقية الثوار الذين لم يستجيبوا منهم: عبيد الله بن أمية المعروف بابن الشالية في جيان، وتمكن من إخماد ثورته كذلك أحمد بن محمد بن حجاج في أشبيلية الذي أذعن للأمير الأموي، ثم رأى من الضروري أن يقضي على رأس الأفعى عمر بن حفصون وأولاده في ببشتر (مالقة) كما ذكرنا سابقاً.

وفي سنة (٣١٧هـ/٩٣٠م) تمكن الخليفة عبد الرحمن من إخماد ثورة الجليقي في بطليوس بعد حصاره لمدة سنة، كما حارب الثائر ابن سعيد بمدينة باجة ودخلها بعد هدم أبراجها وقتل من عصاه من أهلها. وهكذا قضى على الفتن وعادت الوحدة إلى بلاد الأندلس من جديد. كذلك قام بتغيرات في النظم الإدارية وتعيين وزراء وقضاة أكفاء ومن المتغيرات إعلان الخلافة الأموية في الأندلس سنة (٣١٦هـ/٩٢٩م).

في سنة ٣١٦هـ/٩٢٩م قرر الأمير عبد الرحمن الثالث إعلان الخلافة في الأندلس وتلقب بلقب خليفة وأمير المؤمنين وأتخذ لقب الناصر لدين الله على غرار ألقاب الخلفاء العباسيين والفاطميين وأمر أن يخاطب بذلك في المراسلات الرسمية ويدعى له به على المنابر ويُثبت ذلك في أعلامه وطرازه وسكته (النقود) فكان أول من يتخذ ألقاب الخلافة من أمراء بني أمية في الأندلس. ويعود ذلك لعدة أسباب أهمها:-

١- ضعف الخلافة العباسية في تلك الآونة وتحكم القواد الأتراك بالحليفة حتى أصبح ألعوبة بأيديهم.
٢- قيام الخلافة الفاطمية المعادية في المغرب ومصر الامر الذي زاد من شدة المنافسة بين الأمويين والفاطميين.

٣- انتصار الأمير عبد الرحمن الثالث على الثوار والتمرد وخاصة عمر بن حفصون وسيطرته على البلاد وإنهاء حالة الفوضى والاضطرابات وعودة وحدة البلاد شجعته على إعلان الخلافة.

٤- الإستجابة لرغبة الأندلسيين في أن يكون خليفة للمسلمين والذين كانوا يلقبونه بأمير المؤمنين قبل إعلانه للخلافة.

وبهذا الإعلان أصبح في العالم الإسلامي ثلاثة خلفاء في آن واحد بعد إن كانت الخلافة وحدة واحدة لا تقبل التجزئة وكانت ردة الفعل الشديدة لإعلان الخلافة الأموية في الأندلس من قبل الفاطميين إذ اعتبروه تحدياً لهم وتعدياً على حق من حقوق أئمتهم واستمرت المنازعات بينهم ولم يلبث ذلك أن تطور إلى الصِدام المسلح بين هاتين الخلافتين الأموية في قرطبة والفاطمية في القاهرة.

الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١-٩٧٦م)

تولى الحكم المستنصر الخلافة وكان قد قارب الخمسين من عمره وكان حكيماً عالماً واسع الثقافة خبيراً بشؤون الحكم والسياسة إذ أن أباه أشركه في تدبير شؤون الدولة وكان يميل إلى الحياة الهادئة وكان محباً للقراءة والعلم والاهتمام بجلبه الكتب من مراكز الثقافة في المشرق ولاسيما بغداد وكان له وكلاء في هذه المراكز يبادرون إلى شراء كل جديد منها ويرسلونه إليه حتى ضمت مكتبته ما يزيد على ٤٠٠ ألف مجلد في مختلف فنون العلم والمعرفة. كما جذب بلاطه بقرطبة نخبة من العلماء من المشرق والمغرب على حد سواء مثل أبي علي الغالي صاحب كتاب (الأمالي)، والمؤرخ القرطبي ابن القوطية صاحب كتاب (تاريخ افتتاح الأندلس)، ومحمد بن حارث الخشني الذي استدعاه الحكم المستنصر من القيروان إلى قرطبة تقديراً لعلمه فعاش في كنفه، وألف له كتاب (قضاة قرطبة) فكان شغفه بالعلم وإكرامه العلماء سبباً هاماً في وضع الحركة العلمية في الأندلس إلى الأمام، ولكن هذا النشاط العلمي لم يصرفه عن شؤون

الحكم والسياسة والعمل على المحافظة على المكانة السامية التي بلغتها الدولة الأموية في عهد أبيه، فواصل السياسة الخارجية التي أنتهجها أبوه، خاصة السياسة العدائية للخلافة الفاطمية في المغرب ثم انتقالها إلى مصر والعلاقات الدبلوماسية مع الدولة البيزنطية ودول وإمارات المغرب الإسلامي.